والتداخل بين الطرفين محكوم – أحيانًا – بالعقل وقدرته على التعامل الحر مع عناصر الوجود ؛ لأن الإخلال بذلك يدخل صاحبه إلى مجال (المعاظلة) التي هي فاحش الاستعارة عند قدامة ، وإن كان عبد القاهر قد تجاوز – في تجريداته – هذا الإطار الضيِّقَ ، وأباح للشاعر أن يعبِّر عن رؤيته للكون والموجودات في شكل صور قد لا نألفها في الصحة العقلية ، ولكنها في المجال الإبداعي تجسِّد النية الجمالية لصاحبها .

وتعتمد دلالة الكناية أيضًا على هذه الثنائية في تجاور المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي ، فهما معتبران في تحديد مفهومها ، كما أنهما معتبران في التمييز بينها وبين الصورة الاستعارية ، وذلك على الرغم من أن دلالتهما تأتي من طريق المعقول ، فهما بمثابة إثبات وتقرير ، وتزيد الكناية بشكلها المنطقي الذي يقدم المعنى مصاحبًا للدليل ، فتحقق الإقناع والإمتاع في آن واحد . وطبيعة الدلالة الكنائية تتيح للمتلقي حركة مزدوجة أيضًا ، من المعنى الأصلي إلى المعنى الكنائي ، وهي حركة قد تطول أو تقصر تبعًا للملازمات كثرة أو قلة ، ومن هنا جعلها السكاكي تعريضًا ، وتلويحًا ، ورمزًا وإشارة ، بحسب الوصول إلى الدلالة قربًا أو بعدًا . ومع أن النظرة البلاغية إلى الصورة كانت باعتبارها (المفردة) لكن التطبيق العملي لها يؤكد أن هذا (المفرد) لن يفرز دلالته البيانية إلا إذا ارتبط بعناصر لُغوية أخرى تحقِّق له المستوى التركيبي كما رأينا .